

الهجرة

عباد الله: هذا اليوم هو اليوم الثالث من شهر محرم لعام ألف وأربعمائة وتسعة وعشرون هجرياً وشهر محرم هو الشهر الأول في السنة الهجرية. والتقويم الهجري يرمز إلى حدث عظيم من أحداث الإسلام، وإلى ذكرى عطره يسترجع فيها المسلمون سيرة نبيهم ﷺ، ويستذكرون فيها هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة. فالهجرة كانت إيذاناً بانتقال الدعوة الإسلامية من:

١. الخطر إلى الأمان.

٢. ومن الحبس إلى الانطلاق.

٣. ومن قوم بمكة رفضوا الدعوة وتصدوا لها إلى أرض جديدة في المدينة حيث أحب أهلها الإسلام ورسوله، وضحوا في سبيل ذلك الدين بكل ما يملكون من نفس ومال.

عباد الله: لقد ظل رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعو أهلها إلى الإيمان والدخول في دين الله. لكنهم صموا آذانهم وأغلقوا قلوبهم وقابلوا هذا النور بالصدود، وآذوا الرسول وصحابته فكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة عند ملك لا يُظلم عنده أحد. ثم أراد الله الخير للأَنْصار فكانت بيعتنا العقبة الأولى والثانية فقال الرسول ﷺ لأصحابه: إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها {يقصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام} فبدأ الصحابة يهاجرون إلى المدينة فراراً بدينهم تاركين أعز دار وأكرم جوارٍ، مفارقين الأهل والمال. ولما أحست قريش بذلك تملكها الغضب، فاجتمع رجالها في دار الندوة، كما روى عن ابن عباس، يأترون بمحمد ﷺ للقضاء عليه قبل أن يلحق بصحابته، فاعترضهم إبليس بصورة شيخ جليل وقال لهم: لن يعدمكم رأيي ونصحي. فرحبوا به وأخذوا يتشاورون في أمر محمد ﷺ. فقال قائل منهم:

١. نحبسه ونوثقه حتى يهلك كما هلك من قبله. فلم يُعجب هذا الرأي إبليس وقال: ما هذا برأي.

٢. فقال آخر نُخرجه من بين أظهرنا فنستريح. فلم يعجب هذا الرأي إبليس.

٣. ثم قال أبو جهل لعنه الله: الرأي عندي أن نختار من كل قبيلة شاباً قوياً، ونعطي كلاً منهم سيفاً صارماً، ثم يهجمون على محمد ﷺ فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا تقدر بنوهاشم على محاربة قريش كلها، فتقبل الدية فيه، فنستريح ونقطع عنا أذاه. فأعجب هذا الرأي إبليس وقال: القول ما قال الفتى ولا أرى غيره.

بعد ذلك أتى جبريلُ عليه السلام النبي ﷺ فأخبره بما دبره القوم وأمره ألا يبيت في فراشه وأخبره أن الله أذن له بالهجرة، وأنزل الله على رسوله بعد قدومه المدينة سورة الأنفال التي أشار فيها إلى تلك المؤامرة بقوله سبحانه (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ثم دعا ﷺ علي بن أبي طالب وأمره أن يبيت في فراشه ثم خرج ﷺ قاصداً صديقه أبا بكر رضي الله عنه، فوجد شباب الكفار حول داره منتظرين خروجه ليقتلوه ﷺ تنفيذا لتلك الخطة المحكمة التي رسمها قادة قريش والتي لا تقبل الفشل بكل مقاييس البشر ولا ينتج عنها خسارة لهم ولا مسؤولية عليهم ولا إخراجاً لهم أمام القبائل من غيرهم، ولكن عندما تتعارض إرادة الله مع إرادة البشر تنقلب كفة الموازين، ويرد الله كيد الكافرين إلى نحورهم. فخرج ﷺ من بين أولئك المتآمريين وأخذ حفنة من التراب ليضعها على رؤوسهم، فأخذ الله بأبصارهم عن نبيه ﷺ وهو يقرأ (يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ).

وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه محمداً ﷺ . فلما أصبحوا وكشف الغطاء فإذا هو علي فاشتد غيظهم وزاد ضيقهم، ورد الله كيدهم إلى نحورهم، فقالوا لعلي: أين صاحبك؟ قال لا أدري، فنتبعوا أثر النبي ﷺ حتى وصلوا إلى غار ثور الذي لجأ إليه الرسول ﷺ مع صديقه أبو بكر رضي الله عنه، فوجدوا نسيج العنكبوت على بابه فقالوا: لو دخل هنا لتهشم بيت العنكبوت. ويسمع أبو بكر كلام القوم، فخاف أن

يُكْتَشَفُوا فَيَصِيبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَذَى. فبكى وقال للرسول ﷺ كما جاء في الصحيحين من طريق أنس: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. لكن رسول الله ﷺ طمأن أبا بكر قائلاً: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. ثم يأس المشركون من العثور عليه ﷺ وأصبحوا يعرضون المكافآت لمن يأتي به حياً أو ميتاً، ولكن الله حافظُ رسوله ونصره حيث قال سبحانه (إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) التوبة ٤٠. ومكث ﷺ في الغار ثلاثة أيام حتى يرجع عنه الطلب، ثم خرج قاصداً المدينة، فلما بلغ الجحفة وشعر بشوق وحنين إلى مكة مسقط رأسه وموطنه وقف يودعها ويقول: والله إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك آذوني وأخرجوني منك ما خرجت. وفي هذه اللحظات ينزل عليه قوله سبحانه (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ) أي مرجعك إلى مكة فاتحاً منصوراً كما فسره ابن عباس. أما أهل المدينة فكانوا متلهفين ومتشوقين لمقدم رسول الله ﷺ ينتظرون قدوم موكبه كل يوم، حتى رأوا موكب النور وصل إلى قباء، فخرجوا لاستقباله فرحين مستبشرين يرددون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

وبذلك انتقلت الدعوة إلى المدينة، وشرفت بمقدمه ﷺ، وأقيمت دولة الإسلام وانتشر منها النور والتوحيد على العالم كله.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله...

الهجرة: هي مفارقة الإنسان غيره ببدنه أو بلسانه أو بقلبه.

وشرعاً: هي مفارقة بلاد الكفر إلى بلاد التوحيد, مفارقة الأشرار ومصاحبة الأخيار, أو مفارقة الأعمال السيئة والخصال المذمومة, وهي من ملة إبراهيم حيث قال: **(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ)** أي مهاجر من أرض الكفر إلى أرض الإيمان. وقد هاجر عليه السلام ببعض ذريته إلى الشام حيث البلاد المقدسة والمسجد الأقصى. وبالبعض الآخر إلى بلاد الحجاز حيث البيت الحرام كما جاء في دعائه **(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ).**

فالهجرة أنواع:

١. هجرة المعاصي والأعمال السيئة والأخلاق الذميمة. جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر ما هجر ما نهى الله عنه.
 ٢. ومن أنواعها: هجر العصاة ورفقة السوء. يقول سبحانه **(وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا).**
 ٣. ومن أعظم أنواع الهجرة: هجرة القلوب إلى الله بإخلاص العبادة لله, لا يقصد المؤمن بقوله وعمله إلا وجه الله، ولا يحب إلا الله ومن يحبه الله.
 ٤. وكذلك من أنواع الهجرة: الهجرة إلى رسول الله ﷺ بإتباع سنته وتقديم طاعته ﷺ. فالمهاجر من هجر المعاصي واتبع أمر ربه وسنة نبيه وطوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً.
- عباد الله: لقد استذكرنا بعض أحداث الهجرة النبوية بطريقة موجزة مختصرة. والمسلم لا يستذكر امراً ثم لا يستفيد منه، فلا بد من استخلاص أهم العبر واللحظات المستفادة من هذا الحدث العظيم:

١. إن الله قد جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء، فلا قيمة للأرض والوطن والمال والجاه إذا كانت العقيدة معرضة للخطر. لذلك أمرنا الله أن نضحى بكل شيء مقابل أن تسلم لنا عقيدتنا وإسلامنا، وهذا ما فعله الصحابة رضي الله عنهم حيث تركوا ديارهم وأموالهم من أجل دينهم. وإذا تأملنا في هجرتنا نحن "إن جاز لنا أن نقول مهاجرين" وقارناها بهجرة النبي

ﷺ وصحبه، نجد أن هجرتنا معاكسة لهجرتهم حيث هاجروا من أرض كفر وهي مكة إلى أرض الإسلام وبناء الدولة حيث كان الإسلام هو الغالب والمسيطر في المدينة. ونحن هجرنا دار الإسلام إلى ديار غير المسلمين. ثم إن الصحابة عندما هاجروا تركوا كل أشياء الدنيا ليسلم لهم دينهم. وأما هجرتنا فكثيراً منا ضحى بدينه وبعقيدته وبإسلامه وبعرضه وأخلاقه من أجل الدنيا، وظن أن السعادة بجمع الأموال فما استفاق من غفلته إلا بعدما خسر دينه وأولاده وزوجته وأصبح المال وبالأعلى عليه. فلا بد أن نستيقظ من غفلتنا ونعلم فقه الأولويات ونقدم مصلحة الحفاظ على الدين والعقيد على جمع الدنيا وحطامها.

٢. ومن الدروس والعبر المستفادة: أن النبي ﷺ كان يأخذ بالأسباب مع يقينه وتوكله على رب الأسباب. ومن الأسباب التي اتخذها في هجرته:

i. وضع علي رضي الله عنه بفراشه.

ii. استعان بأحد المشركين ليدله على الطريق.

iii. أقام ثلاثة أيام في الغار متخفياً حتى يذهب عنه الطلب.

iv. نظم جهاز استخباراتي ممثل بعبد الله بن أبي بكر، يأتي بأخبار قريش. ثم رتب جهاز التموين عن طريق أسماء بنت أبي بكر، تأتي لهم بالطعام.

بعدما أخذ بالأسباب وانتهاء الجهد البشري المطلوب تدخلت الإرادة الربانية وذلك عندما وصل المشركون إلى باب الغار وقال أبو بكر: لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصارنا. فبين النبي ﷺ لصاحبه أننا أخذنا بكل الأسباب البشرية التي أمرنا الله، لكن الحافظ هو الله وليست تلك التدابير. فقال له: يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

٣. ومن الدروس والعبر التي تستنتجها من هذا الحدث أن نبينا ﷺ يحثنا على حفظ الأمانة، فترك علي خلفه لرد أو لإعطاء الأمانات إلى أصحابها. ولم

يقول النبي ﷺ أن هؤلاء القوم آذوني وآذوا أصدقائي فنأخذ أموالهم غنيمة، لم يفعل ذلك لأنه مُستأمن عليها وأي شيء أُخذ من أمان فهو سرقة حرام وبناءاً على ذلك لا يجوز لنا في هذه الديار الاعتداء على أصحابها وأخذ أموالهم بحجة أنها غنيمة. فهم عندما أدخلوك إلى بلادهم استأمنوك أي أدخلوك على أساس الأمان لم يدخلوك لسرقة أموالهم والاعتداء على نساءهم. أما من أراد الغنيمة فيذهب إلى تلك الديار التي فيها الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. فالنبي ﷺ غم عندما كانت دولة وإمارة للمسلمين وإعلان للحرب على أعدائهم. هنا يكون أطيب لكسب الغنائم فلا بد لنا أن نحترم ديننا في هذه الديار ونفهمه فهماً صحيحاً حتى نحترم أنفسنا ويحترمنا الآخرون.

٤. من الدروس والعبر: الاستفادة من خبرة المشركين وهذا واضح بفعله ﷺ عندما استأجر عبد الله بن أريقط وكان مشركاً ليدلها على الطريق. فمطلوب منا أيها الأحبة أن نستفيد من هؤلاء القوم الذي نعيش بين أظهرهم. نستفيد من نظامهم وتربيتهم وترتيبهم لشؤون الحياة، نستفيد من نظافتهم الخارجية أو الظاهرة. لماذا يبقى المسلم يعيش حياة الفوضى، فوضى في منزله، في تربية أولاده، في تعامله مع زوجته، في لبسه لثيابه، فوضى في مواعيده، في عمله، لماذا لا نستفيد من خيرهم بما لا يتعارض مع شريعتنا والنبي ﷺ يقول: الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها. فلا بد أن ننتبه إلى هذه النقطة.

٥. هناك دروس وعبر كثيرة مستفادة من هجرته ﷺ وأختم بهذا الدرس وهو عظيم: محبة الصحابة لرسول الله ﷺ وهذا ما أظهره علي وأبو بكر رضي الله عنهما. وكان واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار عند أهل المدينة حيث كانوا يخرجون كل يوم لاستقباله ﷺ. نعم أحبه الناس من كل قلوبهم فهو خير خلق الله وهو الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وهو الذي جعل رعاة الغنم، بفضل الله، سادة الأمم فتح قلوبهم قبل بلادهم. فما رآه

أحد إلا أحبه, أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. هذا النبي العظيم يتمنى كل مؤمن رؤيته والحديث معه ولو في المنام. وهو ﷺ يبادلنا نفس الشعور. فهل تعلم يا أخي الحبيب أن رسول الله ﷺ يتمنى لو رآك وجلس معك يحادثك! نعم أنت! يتمنى سيد الخلق ﷺ رؤيتك ومحادثتك! يقول ﷺ لأصحابه: وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي, وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأتي بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرايتم لو أن رجلاً له خيل غرٌّ مُحجَلَةٌ بين ظهري خيل دهم بهم, ألا يعرف خيله؟! قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء, وأنا فرطهم على الحوض, ألا ليذاذن رجالٌ عن حوضي كما يذاذ البعير الضال. أناديهم: ألاهلم. فيقال: أنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً.

أخي الحبيب رؤية النبي ﷺ لك ورؤيتك له تَتَطَلَّبُ منك احترام الصلاة والتطهر لها في وقتها وأدائها كما كان يؤديها ﷺ, التزامك سنته وتخلُّقك بخلقه يجعلك قرينه ورفيقه. فالمرء يحشر مع من أحب, والمحِب لا يَصْبِرُ على ما تكرهه نفسه لأجل حبيبه. والمحِب لا يخالف لحبيبه سنة ولا طريقة ولا أمراً. جعلني الله وإياكم من أحببنا ﷺ وحشرنا في زمرة وأسعدنا في الدنيا بإتباع سنته وفي الآخرة بصحبته.